منوعات

MEDIA

صامويل مينا جونيور

واشنطن ـ **محمد البديوي**

حصل «العربي الجديد» على رسالة الصحافي صامويل مينا جونيور الذي يعمل في قناة سي بي إس الأميركية، الذي حاول إحراق نفسه أمام البيت الأبيض، اعتراضاً على التغطية الإعلامية المنحازة ضد العدوان الإسرائيلي على غزة، وعلى دعم الولايات المتحدة الإبادة الجماعية قبل أن يجري إنقاذه واحتجازه في المستشفى. تضمّنت الرسالة ملخص رؤيته وانتقاده للإعلام الأميركي الذي ساهم في تجاهل قتل الأبرياء والمدنيين في غزة ولبنان، وانتقاده الجمهوريين والديمقراطيين، وموقف كامالا هاريس من الإبادة الجماعية في غزة، باعتبارها المرشحة الديمقراطية للانتخابات الرئاسية.

وقال صامويل مينا جونيور الذي يناديه الناس بـ«سام» في رسالته: على مدار السنوات السبع الماضية، خدمت ولاية أريزونا صحافياً ومصور فيديو وراوي قصص بصرية، ودخلت الصناعة باحتراف بصفتي عاملاً مستقلاً في عام 2017، وأصبحت مصور فيديو إخبارياً بدوام كامل في عام 2022، وأحببت بشكل خاص التعرف إلى مدى اعتماد الصحافة على أسس ممارستها القائمة على الفلسفة والأخلاق».

وتابع: «لكنني صحافي، فأنا وسيط للمعلومات، ومن واجبي البحث عن المعلومات والخبرة ووجهة النظر من الخبراء والشهود والروايات المباشرة لأي موضوع وتوصيل ذلك إلى جمهور كبير من دون السماح لمنظوري وتأثيري بتلويث هذه المعلومات. لكنني هنا اليوم لأخبرك أن الموضوعية في ما يتعلق بالصحافة هي قشرة مما كانت عليه ذات يوم.

بعد مرور عام على بدء حرب الإبادة الإسرائيلية في قطاع غزة، لا يزال الصحافيون الفلسطينيون يواجهون ظروفاً استثنائية، إذ يتعرضون للاستهداف المباشر والتهديد، وغياب مقومات العمل البسيطة

صحافيو غزة في عين الإبادة... شهداء وأسرى

الدوحة ـ **ضياء الكحلوت**

عام كامل منذ بدء حرب الإبادة في قطاع غزة، ولم يتغير الكثير مع توسع العدوان شمالاً حيث لبنان والتهديدات الإسرائيلية المتصاعدة للمنطقة. وما زال الصحافيون الفلسطينيون منذ عام في عين العاصفة، وباتوا جزءاً من المشهد لا في نقله وتغطيته للعالم، بل أضحوا أعداداً من ضمن ضحايا الحرب القاسية وأسراها وجرحاها ومفقوديها.

وبات ما ينطبق على الغزيين ينطبق تماماً على الصحافيين الذين فقدوا نحو 180 صحافياً وعاملاً بوسائل الإعلام ومقارها استشهدوا خلال العام الفائت إلى جانب اعتقال نحو 33 صحافياً وعاملاً في وسائل الإعلام من قبل الاحتلال الإسرائيلي واستمرار فقدان التواصل وغياب المعلومات عن مصورين صحافيين فقدا قبل عام بالضبط عند حاجز بيت حانون/إيرز شمالي القطاع هما نضال الوحيدي وهيثم عبد الواحد. منذ بدأت إسرائيل حربها الواسعة على قطاع غزة وفي اللحظات الأولى منها، وضعت الصحافيين في عين العاصفة ووزعت الاتهامات لتطاول مصورين صحافيين غزيين تمكنوا من دخول مستوطنات الغلاف وتصويرها بزعم انتمائهم إلى فصائل المقاومة في حجة استخدمتها لاحقاً في توجيه اتهامات إلى صحافيين معتقلين واستهداف وقتل آخرين وملاحقة من بقوا على قيد الحياة وإشعارهم من خلال التركيز عليهم بانعدام الأمان وربما دفعهم إلى وقف التغطية.

وتختلف أرقام الشهداء من الصحافيين بين مؤسسة وأخرى، ومن الطبيعي أن هذا الخلاف لم يكن موجوداً في الحروب والتصعيدات السابقة في القطاع الساحلي المحاصر والمدمر، لكن ظروف العمل في ظل الإبادة وصعوبات التواصل وتعدد جهات الرصد والتوثيق جعلت من الأرقام مختلفة. وتعتمد بعض المصادر في توثيقها لأعداد الشهداء الضحايا على إضافة كل من يعمل في وسائل الإعلام صحافياً أو عاملاً أو مساعداً أو فنياً وتضيفه إلى قائمة الصحافيين، فيما تعتمد المؤسسات الدولية والعربية على من يعمل بانتظام مع وسيلة إعلام معروفة والبعض لا يعير حتى اهتماماً بصحافيي العمل الحر.

ويعتقد الصحافيون الفلسطينيون أنّ استهدافهم وملاحقتهم منذ بدء حرب الإبادة تهدف إلى ترهيبهم ومنعهم من القيام بواجبهم المهني في التغطية، وإشعارهم بعدم الأمان والقلق والتوتر الدائم. وهذا ليس ما يعيشه الصحافيون فقط، بل يعيشون الظروف ذاتها التي يعيشها 2,5 مليون فلسطيني في القطاع مشردين ونازحين وباحثين عن الطعام والشراب والعلاج وأدنى مقومات الحياة الآدمية التي تحرمهم إسرائيل منها.

ووفق تقرير يرصد الانتهاكات ضد الصحافيين أصدره مركز «الميزان» لحقوق الإنسان ومقره غزة، أضحى 33 صحافياً وعاملاً في وسائل الإعلام من ضمن المعتقلين في هذه الحرب. والتقرير يقول كذلك إنّ المصورين الصحافيين هي الفئة الأعلى بين الصحافيين المستهدفين والضحايا بنسبة (33,5%)، ثمّ تأتي فئة المراسلين الصحافيين لوسائل الإعلام المختلفة ثانياً بنسبة (29,8%)، ثمّ فئة العاملين في مجال التحرير الصحافي بنسبة (12,5%)، وبعد ذلك يأتي الكتاب الصحافيون بنسبة (10,9%)، ثمّ فئة المذيعين في الإذاعات المحلية بنسبة (4,6%)، ثمّ فئة مقدمي البرامج الإعلامية والفنيين (الصوت والصورة والاستوديوهات الإعلامية) بالنسبة نفسها (4,1%)، وأخيراً تأتي فئة المخرجين الصحافيين بنسبة (0,5%). والعدد الأكبر من الشهداء الصحافيين والعاملين في حقل الإعلام يعملون في وسائل إعلام محلية، حيث بلغت نسبتهم (92,2%)، ثم جاء العاملون في وسائل الإعلام الإقليمية بنسبة (6,3%)، وأخيراً جاء العاملون في وسائل الإعلام الدولية بنسبة (1,5%).

في الميدان، يلبس الصحافيون والمصورون ومعاونوهم السترات الواقية والخوذ، لكنها لا تحميهم من الاستهداف والملاحقة الإسرائيلية. إلى جانب ذلك، يعانون كما الجميع لتأمين الطعام والشراب والظروف الملائمة لعوائلهم وأطفالهم، كما يعانون لتأمين المستلزمات الضرورية لإتمام أعمالهم. وفي 19 ديسمبر/كانون أول العام الماضي، تعرض مراسل التلفزيون العربي في شمالي غزة إسلام بدر للإصابة عندما كان يمر بجوار منزل استهدفته الطائرات الحربية الإسرائيلية، وفي حينه كان القطاع الصحي منهاراً تماماً فاضطر إلى تلقي أقل العلاجات وبعضها في الشارع ونقاط طبية بسيطة، لكن الإصابة لم تمنعه من العودة إلى التغطية بعد أيام من التعافي الجزئي.

> المصورون الصحافيون هم الأكثر استهدافاً منذ بدء العدوان

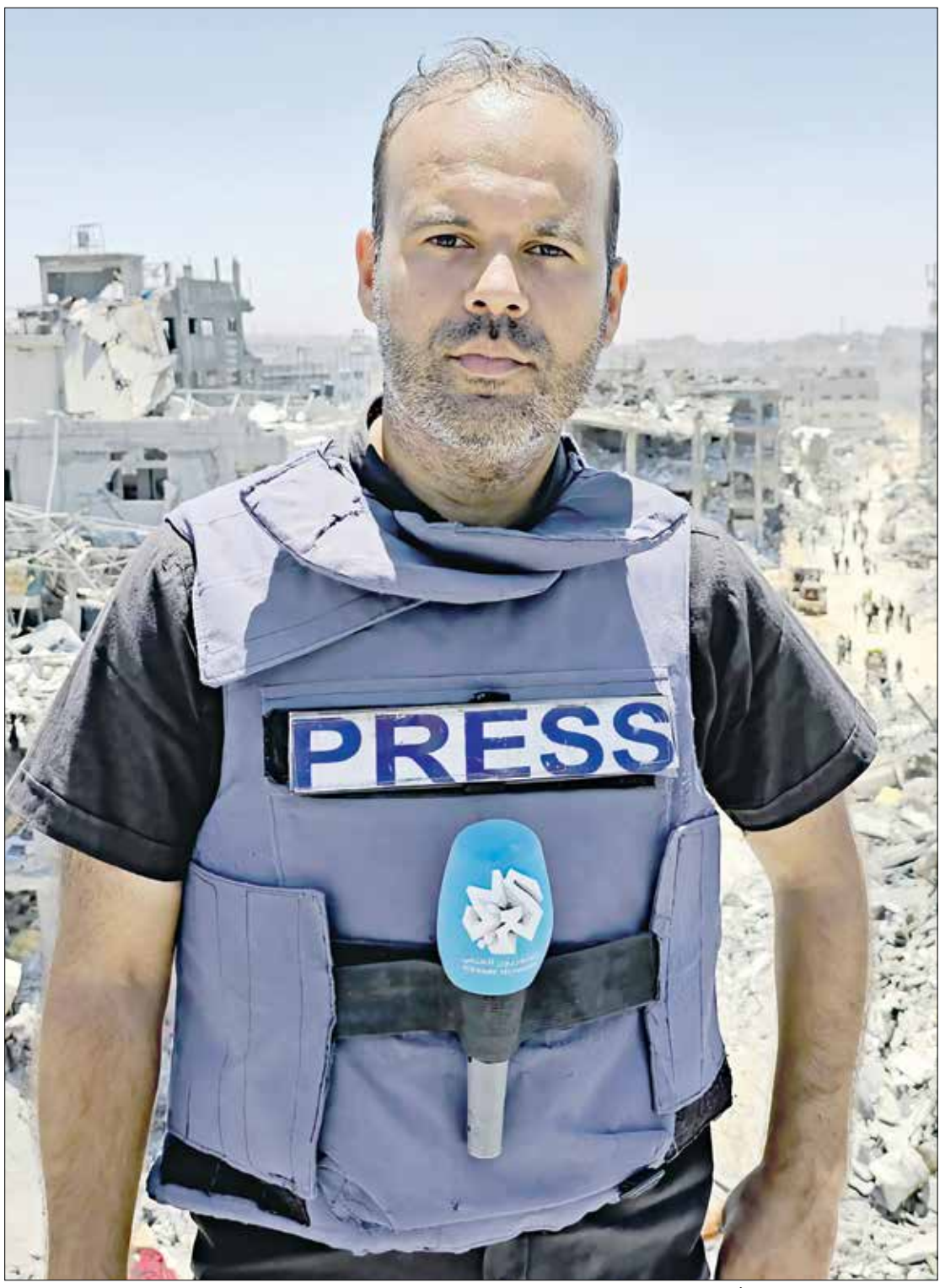

مراسل التلفزيون العربي في شمالي غزة إسلام بدر (إكس)

يقول إسلام لـ«العربي الجديد» إنّ هذه الحرب استثنائية وفرضت تغطية استثنائية وطريقة عمل استثنائية، فالتغطية صعبة للغاية ودموية مع فقد عدد كبير من الشهداء الصحافيين وتعرض المؤسسات الإعلامية للاستهداف المباشر، متحدثاً عن تحديات كبيرة سواء الأمنية المتعلقة بسلامة الصحافيين أو التقنية، كانقطاع الإنترنت وتدمير المعدات الفنية، وكثافة الغارات والأحداث.

يشير إسلام إلى أنه في كثير من الأوقات يُفاضَل بين الأحداث لسرعتها وتغيب بعض المجازر لأن الأحداث متسارعة، موضحاً أنّ الصحافي الفلسطيني يعمل منذ بداية الحرب «بدون راحة ولا إجازات وبعمل مستمر، ويضطر إلى المبيت في الشارع إضافة إلى تحمل الظروف النفسية نتيجة المشاهد الفادحة والقاسية التي يوثقها». ويلفت إلى إشكاليات فنية وتقنية متعددة ترافق التغطية المتواصلة للحرب.

يقول كذلك: «ما زلنا نواصل صعوبة في الوصول إلى المعلومة، وانقطاع الإنترنت يقلل من قدرتنا على التغطية، نضطر إلى الذهاب لمناطق عالية للوصول إلى الإنترنت وهذا يشكل خطراً علينا.. لا توجد معدات فالمعدات الموجودة ليست مؤهلة للعمل بجودة عالية للقيام بدورنا المهني».

ومنذ بداية الحرب واضطرار أسرته إلى النزوح جنوباً لم يلتقِ إسلام بدر زوجتَه وأطفاله ما يشكل عبئاً إضافياً عليه ويقلقه. ويشير إلى أنّ ما يعانيه الفلسطينيون جميعاً يعانيه الصحافيون، فالاحتلال لديه «شيك مفتوح لارتكاب المجازر في غزة ولا محاسب له».

وتتشابه الظروف ذاتها مع مراسل قناة TRT الفضائية سامي برهوم الذي أصيب أكثر من مرة، ونجا من القصف الإسرائيلي والاستهداف المباشر 5 مرات. يقول برهوم لـ«العربي الجديد» إنه في 12 إبريل/نيسان المنصرم كان في مهمة صحافية في مخيم النصيرات وسط القطاع مع المصور الصحافي سامي شحادة، وتعرضا لقذيفة إسرائيلية مباشرة أدت إلى بتر القدم اليمنى لزميله سامي وأصيب هو إصاباتٍ طفيفة. يشير سامي إلى أنّ «الاستهداف الإسرائيلي حصل في منطقة مفتوحة، ترانا فيها الطائرات.. لكن يبدو أنّ جيش الاحتلال تعمد الاستهداف رغم سهولة تمييزنا صحافيينَ نرتدي السترة الواقية والخوذ ونضع علامات الصحافة على سيارتنا». يحكي سامي عن العمل في ظل تحديات صعبة للغاية يعيشها الصحافيون في قطاع غزة. يقول: «نحن معرضون للخطر ونحن أمام رسالة متواصلة من الميدان، ننقل كل أوجه الإبادة المتواصلة من ارتكاب المجازر وتدمير القطاع ونرصد ما يجري».

وعلى مدار عام كامل من التغطية، تنقل سامي برهوم من الشمال إلى الجنوب، ويعيش اليوم في خيمة وينام في الشارع والسيارة لتستمر التغطية ويواصل نقل ما يصفها بـ«أشرس الحروب في هذا العصر الحديث»، مشيراً إلى أنّ ما يجري في غزة «حرب إبادة، ونحن الصحافيين جزء منها، فلا يوجد صحافي في غزة إلا فقد أحداً من أهله أو أقاربه أو أصحابه أو منزله أو نجا من الموت أكثر من مرة».

ويشير برهوم إلى الصعوبات التي تعترض الصحافيين في غزة، ويبدؤها بـ«غياب الحصانة» فلا مكان آمناً للصحافيين، غير أنه يلفت إلى أنّ الصحافي الفلسطيني «أمام مسؤولية مهنية وإنسانية ومستنزف للغاية، لا يعلم في قادم الأيام من سيكون شهيداً بيننا لأن إسرائيل تزعجها الصورة».

الإفلات من العقاب

في السابع من يناير/كانون الثاني الماضي أصيب المصور الصحافي حازم رجب في استهداف السيارة التي يستقلها رفقة عدد من الصحافيين أثناء مهمة عمل بمدينة رفح جنوبي قطاع غزة ليستشهد في الضربة الجوية الصحافيان مصطفى ثريا وحمزة الدحدوح والسائق قصي سالم. فقد حازم النظر في عينه اليمنى وأصيب بضعف شديد في السمع وكاد يفقد يده اليمنى، لكن الأطباء تمكنوا من الحفاظ عليها بعد إجراء 17 عملية في المشفى. كان حازم يحاول السفر للعلاج خارج غزة في ذلك الوقت لكنه لم يتمكن، فاضطر في ظل سوء حالته الصحية إلى دفع بدل التنسيق والسفر لمصر على نفقته الخاصة ليستكمل علاجه بعد ثلاثة أشهر من الإصابة.

ورغم رحلة العلاج الطويلة في مصر، يقول رجب لـ«العربي الجديد»: «ما زلت فاقداً للرؤية بالعين اليمنى وأعاني مشاكل بالسمع ولا أستطيع تحريك يدي.. لكن يراودني شعور بالاحباط من الناحية النفسية والجسدية والمالية لأني لم أجد من يقف بجانبي في هذه المحنة وهذا يضيف ضغطاً على وضعي الصحي».

ولم تحاسب إسرائيل على قتلها للصحافيين كما المدنيين في غزة، ويقول حازم رجب إنّ «قتلة الصحافيين لا يحاسبون بسبب الحصانة التي تتمتع بها إسرائيل وعدم وجود ضغط كاف وآليات قانونية تفرض المساءلة والمحاسبة عليهم».

على الجانب الآخر، لا تزال المصورة والمحررة الصحافية دعاء الحرازين تتنقل للتغطية في المحافظات الجنوبية من قطاع غزة بعد نزوحها هناك. تقول الحرازين لـ«العربي الجديد» إنّ «هذه الحرب قاسية جداً، فقدنا الكثير فيها ورأينا الكثير، لكن هذه الأشياء تزيدنا عزيمة»، مشيرةً إلى أنه «من اليوم الأول راهن الصحافيون على استكمال العمل رغم مأساوية الوضع والعراقيل الكثيرة الموجودة، لقد ناموا في الشارع ولم نجد أي راحة في العمل، وكنا مع النازحين ولم نشعر إلا بأهمية استمرار التغطية».

إصدار

في كتاب يحمل عنوان «عمود السينما... السينما في فلسطين قبل النكبة»، تتناول الكاتبة الفلسطينية آلاء كراجة صناعة الأفلام في البلاد استناداً إلى وثائق وصحف

في مهرجان الإسكندرية

آلاء كراجة تستعيد سينما فلسطين قبل النكبة

الإسكندرية ـ **العربي الجديد**

تُصدر الزميلة في تلفزيون العربي 2 آلاء كراجة، قريباً، كتاباً عن السينما في فلسطين قبل النكبة، في نحو 500 صفحة تتوزّع على سبعة فصول، يتناول بدايات السينما وصناعتها في فلسطين، وسينما الحركة الصهيونية والمستعمرات، مع التركيز على أبرز شركات السينما ووكالات التوزيع، ودور السينما في يافا، وأشهر دور العرض السينمائي التي رصدتها الصحافة في فلسطين، والسينما الجوّالة قبل النكبة. يوضح الكتاب أن المشهد السينمائي في فلسطين قبل النكبة كان مزدهراً وواعداً، وأن السينما كانت صناعة متكاملة. هذه الدراسة الأولى من نوعها التي تتناول بتوسع وشمولية السينما في فلسطين قبل النكبة استناداً إلى الوثائق والصحف، إذ عادت كراجة إلى عشرات الوثائق التاريخية والمراسلات الموجودة في أرشيف وزارة الثقافة الفلسطينية بين العاملين في صناعة السينما الفلسطينية آنذاك، لا سيما داري سينما الحمراء وفاروق وشركة السينما الوطنية، وبين شركات توزيع الأفلام المصرية، مثل شركة بهنا إخوان لصاحبيها إدوارد وجورج بهنا في الإسكندرية، واستوديو مصر في القاهرة، ونحاس استوديو.

تناولت الوثائق، وخاصة بين سينما فاروق في يافا، وشركة «بهنا إخوان» في الإسكندرية، عملية التعاقد على شراء الأفلام والتفاوض بشأن سعرها، والترويج لها، والتفاهم على كل ما يتصل بها من ملصقات (أفيشات)، وصور الإعلانات، والكليشيهات. وحتى إن التعاقد على بعض الأفلام كان يُنجز قبل البدء بتصويرها بستة أشهر أو سنة، من أجل المساهمة في إنتاج الفيلم، وكل ذلك استجابة لطلب الجمهور واهتمامه بمشاهدة الأفلام، والمشهد الفني العام الذي كان يعيشه المجتمع الفلسطيني، واهتمامه وتطلعه لمتابعة أحدث الإنتاجات السينمائية وشغفه بالعروض السينمائية، بما يدلل على رواج العمل في المجال السينمائي في حينه. كما ظهر مع هذا الحراك متعهدو الأفلام وبائعو الأسطوانات وشركات

> تعود كراجة في كتابها إلى عشرات الوثائق التاريخية والمراسلات

الإنتاج والتوزيع. واستندت الدراسة إلى مئات الإعلانات والتقارير والمقالات بشأن السينما في فلسطين في أكثر من 20 صحيفة ومجلة كانت تصدر في مدن فلسطين قبل النكبة، ومن أهمها «فلسطين» التي صدرت أول أعدادها في يافا في عام 1911، وكذلك «الدفاع» التي صدرت في يافا في 1934، و«مرآة الشرق» التي أصدرت عددها الأول في القدس في 1919. خلصت الدراسة إلى أن السينما في فلسطين كانت صناعة متكاملة الأركان، تشابكت فيها الدوافع الوطنية والاقتصادية، بعد أن تجلى الوعي بأهمية السينما بصفتها أداة ثقافية وسياسية واقتصادية مؤثرة، إذ كانت فلسطين تَعِدُ بمشهد سينمائي مزدهر وواعد من ناحية صناعة الأفلام أو تطور دور العرض السينمائية، أو لجهة تشكيل أجسام وهيئات ونوادٍ للتمثيل والسينما، بَيْدَ أن هذا الحراك السينمائي توقف مع نكبة فلسطين.

آلاء كراجة إعلامية وباحثة في السينما الفلسطينية، ومقدّمة برامج في التلفزيون العربي 2. أصدرت في عام 2020 كتاب «السينما الفلسطينيّة الجديدة: صورة البطل ودلالاته». وقد استضافها، أخيراً، مهرجان الإسكندرية السينمائي لدول البحر المتوسط، الذي اختتم فعالياته السبت الماضي، في ندوة عن تاريخ المشهد السينمائي في فلسطين إبّان الاستعمار البريطاني من 1923 وحتى نكبة فلسطين في 1948. أوضحت فيها أنّ المشهد السينمائي في فلسطين قبل النكبة كان مزدهراً وواعداً، بجهود ومساهمة شعبية، من حيث العمل والتوزيع والإنتاج، والتشبيك مع العاملين في الصناعة السينمائية عربياً وعالميّاً، بما شكّل صناعةً سينمائيةً تأسست على أسس وطنية واقتصادية، وبجهود ومساهمة شعبية من الفلسطينيين، الذين قاوموا الحركة الصهيونية، وتصدّوا لها بكل الطرق؛ ما أدّى إلى ظهور شركات سينمائية وطنية مستقلة، ودور سينما في مختلف مدن فلسطين على أحدث الطرز والأنساق، استقطبت الفنانين العرب من مختلف الأقطار العربية.

وتطرّقت كراجة إلى نهوض القطاع السينمائي في فلسطين، وتطوره في ثلاثينيات القرن الماضي وأربعينياته، باعتباره سوقاً مهمة للفيلم المصري في البداية، ولاحقاً شريكاً في عملية الإنتاج والتوزيع السينمائي، إذ ارتبط المشهد السينمائي في فلسطين ارتباطاً وثيقاً بتجارة الأفلام بين فلسطين ومصر، فعُرضت أهم وأحدث الأفلام المصرية في دور العرض في المدن الفلسطينية، واهتم أصحابها بالسينما المصرية وإنتاجاتها، ووظفوا مقدراتهم للحصول على حقوق استغلالها سنوات، فتواصلوا مع شركات الإنتاج والتوزيع، وحرصوا على البقاء على خريطة العرض السينمائي، فكانت فلسطين وشرق الأردن سوقاً مهمة لإنتاجات السينما المصرية، ومساحة مهمة لنجومها الذين حققوا حضوراً واسعاً. لفتت كراجة إلى أن الاحتلال الإسرائيلي دمّر بعد نكبة 1948 المشهد السينمائي الفلسطيني، الأمر الذي دفع مخرجين فلسطينيين عديدين إلى استكمال مشاريعهم السينمائية في بلدان عربية مجاورة، وتحديداً في مصر والأردن، فساهموا في انتعاش الحياة الفنية هناك. كما ساهم آخرون في التأسيس لفن السينما في بلدان عربية أخرى، فقد استمرّت أعمال شركة تلحمي إخوان ما بعد النكبة خارج فلسطين، وأسس جبرائيل تلحمي شركة أفلام النيل للإنتاج والتوزيع السينمائي (أفلام جبرائيل) في مصر، وتعاوَنَ مع كبار المخرجين المصريين، مثل يوسف شاهين وحسن الإمام، وأنتج عدة أفلام، من أشهرها «باب الحديد» في 1958، من إخراج يوسف شاهين، و«بين القصرين»، في 1964، من إخراج حسن الإمام، الذي كان له حضور في فلسطين في بداياته الفنية، وتحديداً في يافا، والمشاركة في عدة فعاليات في سينما الحمراء. وقد استضاف مهرجان الإسكندرية السينمائي لدول البحر المتوسط 64 ضيفاً من دول البحر المتوسط، وشهد مشاركة 140 فيلماً من 26 دولة.

استضافها حديثاً مهرجان الإسكندرية السينمائي لدول البحر المتوسط (حسين بيضون)

صورة البطل

في كتابها السابق، «السينما الفلسطينية الجديدة: صورة البطل ودلالاته»، تبتعد آلاء كراجة عن هاجس التأريخ السينمائيّ، جاعلةً إياه يأخذ بُعداً مُتموّجاً، يحفر هنا وهناك. لم تتّبع أيّ نسقٍ فكريّ أو أساس كرونولوجي أو منهجيّ. مع ذلك، يتّسم الكتاب النقدي بوحدة موضوعية مُركّزة، تُفكّر في واقع السينما الفلسطينية الجديدة، وفهم مُنطلقاتها وخصائصها، وترسّبات القديم السينمائي في متونها الجديدة.

إضاءة

بعد عام على حرب الإبادة... أين روايتنا؟

محمد هاشم عبد السلام

وسط الانشغال المهني ومتطلّباته، في الدورة الـ81 (28 أغسطس/آب ـ 7 سبتمبر/ أيلول 2024) لـ«مهرجان فينيسيا السينمائي الدولي»، ورغم صعوبة المتابعة التفصيلية لأخبار حرب الإبادة الوحشية وأهوالها، المستمرّة على قطاع غزّة؛ ومع الحديث عن مجزرة جديدة، وعن مزيدٍ من جثث وتجويع وتطهير عرقي شامل؛ شاهدتُ «عن الرجال والكلاب» للإسرائيلي داني روزنبيرغ، لضرورة مهنية، وبدافع الفضول والاستكشاف.

كان الصراع داخلياً قبل مُشاهدته. ينقسم بين ضرورة التجرّد والتحلّي بالحِرفية والإنصاف قدر الإمكان، والتساؤل المُلحّ عن مدى إمكانية الفصل بين الناقد والإنسان، لأحقّق هذا الانضباط في المشاهدة، وبلوغ أقصى درجات التجرّد والنزاهة والحيادية. هذا لم يكن سهلاً. لكنْ، ما خفّف من وطأته أنّ الفيلم المعروض متهافت. هناك عجلةٌ بالغة لأنْ يبدأ الفيلم، لمعاينة الموضوع والأفكار والمعالجة، بعد تعمّدي عدم قراءة شيء عنه مسبقاً، واستكشاف أول فيلم روائي طويل إسرائيلي يتناول الحاصل منذ السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، ورصد وجهة النظر الإسرائيلية المطروحة لرواية الأحداث.

فور بدئه، أوضحت اللوحات أنّ التصوير جرى بعد شهر تقريباً مما حصل في ذاك اليوم، في كيبوتز إسرائيلي متاخم لحدود قطاع غزّة. أمر غريب ومُدهش لي، نظراً إلى السماح لفريق العمل (منح تصاريح) بالتصوير في أراض تُعتبر «منطقة عمليات عسكرية مغلقة»، وكانت حينها لا تزال تتعرّض لقصف صواريخ المقاومة. أما الحبكة، فيمكن تصويرها في أماكن «آمنة»، أو أقل خطورة. لكنّها الرغبة في استعراض الدمار والخراب والحرائق التي لحقت بالسكّان هناك. وهذا أحد الدوافع الرئيسية لانجازه: استعراض متواصل لمنازل مهجورة، فيشاهد العالم ما جرى على أيدي هؤلاء «الرجال».

صحيحٌ أنّه بعد مشاهدة الفيلم، الضحل والساذج والمفتعل إلى أقصى درجة، حَدَث ارتياحٌ لضعف الطرح والمعالجة والتناول. تمحورت محاولة روزنبيرغ، المُباشرة والفجّة، حول إبراز مدى إنسانية شابّة إسرائيلية، وهي تخترق الحدود والحواجز الأمنية العسكرية العتيدة، تحت القصف المستمر، لتضحّي بحياتها بحثاً عن كلبتها الضائعة وسط أنقاض كيبوتزات محترقة ومدمّرة. ثم يستضيفها جار مخلص، رفض ترك منزله وأرضه، ويصف لها هول ما حدث، كشاهد عيان. في نصفه الثاني، تظهر فتاة أخرى تضطلع بمسؤولية البحث عن الكلاب والقطط المتروكة والشاردة وسط حطام الكيبوتزات. هناك «ذكاء» في عدم الإمعان في شجب الآخر وإدانته وتحقيره، أي «الرجال» تحديداً، والفلسطينيين عامة. حاول كتّاب السيناريو (المخرج والممثلة الأولى فيه أوري أفينوام ومنتجه إيتاي تامير) تضمين الموضوع حيادية لازمة، عبر مقاطع فيديو تشاهدها الفتاة على هاتفها عمّا جرى قبل بداية الحرب. ثم لقطات عن انطلاقها، وبداية تدمير غزّة ومبانيها وتسويتها بالأرض. كلّ ما يتعلق بهذا الفيلم وبأحداثه يُثير أسئلة كثيرة، أبرزها: أين روايتنا نحن إزاء ما حدث ويحدث، منذ اندلاع هذه الحرب القذرة؟

بصرف النظر عن الرغبة الإسرائيلية في إبداء المظلومية، وتضخيم ما حدث، والتهويل من فداحته، وتبيان أثره حتّى على كلاب وقطط، والبشر طبعاً؛ وبصرف النظر عن المستوى الفني للفيلم؛ فإنّ سرعة إنجازه وضخامة تمويله وتذليل العقبات أمام تنفيذه، تثير الدهشة. اللافت للانتباه كيفية الاشتغال على فكرة ساذجة، وتطويرها وأنسنتها وإكسابها مصداقية واقعية، للخروج منها بفيلم يُعرض ويُنافس في قسم «آفاق» في مهرجان فينيسيا، وبعضهم وصفه بالمحايد والإنساني، يستدرّ تعاطفاً وتعاضداً، وتصفيقاً، بينما حقيقة الضحية غائبة.

ما سبق يُثير تساؤلات عدّة عن النشاط السينمائي الإسرائيلي، في مقابل كسل فلسطيني ـ عربي؛ وعن الرغبة الإسرائيلية في العمل وسرعة الإنجاز، والعزوف والانسحاب والزهد الفلسطيني في الوجود والحضور وفقدان الأمل.

> «عن الرجال والكلاب» فيلم ضحل وساذج ومُفتعل لأقصى درجة

في خانيونس، السادس من أكتوبر 2024 (عبد الرحيم الخطيب / الأناضول)

من آثار قصف الاحتلال مدرسة ابن رشد في حي الزوايدة، السادس من أكتوبر 2024 (أشرف أبو عمرة / الأناضول)

فيلم

الانفجار في أيّ لحظة

سعيد المزواري

بعد مضي عام على اندلاع «طوفان الأقصى» واستمرار العدوان الإسرائيلي الوحشي على الفلسطينيين في قطاع غزّة والضفة الغربية، والإمعان في القتل والإبادة المنهجية، يُطرح السؤال مُجدّداً عن قدرة السينما على التقاط ما يجري وفضحه، والمساهمة في وضع حدّ له، وسط أجواء من الطمس والتزوير والتنكّر لمعاني الإنسانية والقيم الكونية المثلى.

بغض النظر عن حدود قدرة السينما على تغيير العالم وأوضاعه، كما يُعبّر عنها سينمائيون عديدون، كالألماني فيم فيندرز بقوله إنّ كلّ ما بوسع السينمائي فعله أنْ «يُحسّن صُور العالم، وعبر ذلك يأمل أنْ يتحسّن العالم»، فإنّ الأفلام ليست الوسيط الأفضل لتمثّل الفظاعات والجرائم ضدّ الإنسانية، لكونها تُظهِر أكثر ممّا تضمر. والإظهار، كما هو معلوم، طريق مختصرة إلى التطبيع والابتذال. ولعلّ أبرز ما قيل في هذا الشأن إقرار مارغريت دوراس، في الصفحات الأولى من ملخّص «هيروشيما حبيبتي» (1959) لآلان رينيه، بأنّ «كلّ ما يُمكننا فعله الحديث عن استحالة الحديث عن هيروشيما. فادّعاء معرفة ما وقع في هيروشيما يمثّل، بديهياً، وهماً عقلياً». نصّ السيناريو النهائي مُفعمٌ بالأضداد: «تقتلني فتحييني»، و«أكذب عليك فأقول لك الحقيقة»، وطبعاً الجملة الأثيرة: «لم ترَ شيئاً في هيروشيما».

رغم كلّ ذلك، تظلّ وظيفة السينما أساسية وثمينةً في إبقاء شعلة الذاكرة مُتّقدةً ومحاربة قوى النسيان، التي تراهن على الآنيّة والمفعول المنفّر للإغراق، في زمن الوفرة الرقمية، والسيل المتدفّق لصُور تنتهي بفقدان كلّ تأثير. ذلك أنّ السينما تضع الأشياء في منظور تاريخي يشحذ التفكير، وتُرتّب الحكايات بحسّ إنساني، وبلاغة فنية تروم استجلاء الحقيقة، ولا شيء غيرها.

على مدى عقود، أظهرت أفلام وثائقية وتقارير إخبارية وتحقيقات صحافية سياسة القتل والقمع والمضايقات التي يتعرّض لها الفلسطينيون في قطاع غزّة والضفة الغربية، بالتفجيرات وعمليات القنص الممنهج وهجمات المستوطنين بحماية الجيش الإسرائيلي. هكذا، توثقت انتهاكات وعنف ما يسمى بـ«الجيش الأكثر أخلاقية في العالم»، وكيف جعل من تجريد الفلسطينيين من إنسانيتهم همَّه الشّاغل، خاصةً في القطاع، حيث ساهم الحصار في انعدام الآفاق أمام الشباب، وخلق صعوبات أمام الفلسطينيين في تلبية حاجاتهم الأساسية، من غذاء وماء وكهرباء، جاعلاً من غزّة غيتو كبيراً يُنبئ بالانفجار في أيّ لحظة.

أجواءٌ التقطها الإيطالي الشاب بيَرو أوزبرتي في فيلمه الوثائقي «سفر إلى غزة» (2024، 67 دقيقة)، إذْ سافر إلى غزّة عام 2018، وكان يبلغ 25 عاماً، لتمضية ثلاثة أشهر، وتوثيق الحياة اليومية الصعبة لأصدقائه هناك: إغلاق الحدود، انقطاع الكهرباء، ضيق الأفق، ومن جهة أخرى نظرة تقليدية تجاه دور المرأة في المجتمع. رغم ذلك، تسعى سارة إلى تغيير الأوضاع بالاشتغال في مجال التوعية الإنسانية، بينما تتدرّب جمانة على المحاماة، ويتشبّث محمد بأحلامه الماركسية بعد فشله 13 مرة في مغادرة القطاع، من دون أن ينزع ذلك ابتسامةَ الأمل من وجهه. حين تَظَاهر نحو 30 ألف فلسطيني في مسيرات العودة الكبرى السلمية (المعادل الفلسطيني لمسيرة الملح في الهند)، باتجاه الجدار، عام 2018، أطلق القنّاصة الإسرائيليون الرصاص عليهم وهم عُزّل من السلاح، فجُرح الآلاف، وقُتل أكثر من 60 شخصاً في اليوم الأول وحده. لكنّ العالم لم يُحرّك ساكناً، ما عدا إدانات محتشِمة في الأوساط الليبرالية. ولنا أنْ نتخيّل وقع هذا على نفوس الغزّيين، خاصة الجرحى، أو الذين فَقَدوا ذويهم في هذه الأحداث.

> تظلّ السينما أساسية وثمينة في إبقاءٍ شعلة الذاكرة مُتّقدة

مشهد

كل هذا الخراب: مَشاهد جاهزة تنتظر التنفيذ

> مهما كتبنا من سيناريوهات وأخرجنا أفلاماً، لا يُمكن نقل حقيقة هول جريمة الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة

عبد الكريم قادري

تتّضح الرؤية كلّما اتّسعت الرقعة زمنياً وجغرافياً. في هذه الحالة، تبدأ الحقائق بالتجلّي، وتُصبح الأحكام أكثر جهوزية وصلابة ومصداقية. لذا، فحقائق حرب إبادة الشعب الفلسطيني التي يشنّها الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزّة صارت أوضح، وبان فيها ما كان مخفياً: محاولة تغيير الجغرافيا، ورمي أصحاب الأرض بعيداً، ليتآكلهم النسيان، مُشرّدين ولاجئين في بلدان العالم. كُلّ من يتشبّث بأرضه، سيحدث له كما حدث لآلافٍ ممن سُحقوا بكلّ أنواع الأسلحة، وبأكثرها فتكاً وتدميراً وخبثاً، أسالت دماءهم بغزارة، وبعثرت أشلاءهم على رمل غزّة وبحرها، فكانت أعداد الشهداء هائلة، لا تُحصر برقم نهائي، بحكم تحيينها في كلّ لحظة، إذ جرىً كلّ هذا وأكثر في عام واحد من هذه الإبادة المنطلقة بعد «طوفان الأقصى» (7 أكتوبر/تشرين الأول 2023).

المدة الزمنية (عام من بدء الإبادة) كافية لبلورة فكرة شاملة لصناعة فيلم جيد غير مستعجل، مُشبع بالمنطلقات المعرفية والجمالية والفنية، ومُحاطٌ بمعارف يُمكن أنْ تُحدّد وتُعدّد الأسباب الظاهرة والمخفية التي تقف وراء تداعيات «طوفان الأقصى»، وما خلّفه من تبعات على فلسطين والمنطقة والعالم، خاصة السياسية منها. إنّه المنطلق المفصلي المهمّ الذي تتفرّع أيدٍ قذرة ومُلطّخة بالقتل والدم والتآمر، وكلّ يدٍ تُشير إلى جهة أو فصيل أو دولة أو مجموعة، تساعد المحتل الإسرائيلي وتدعمه بكلّ الوسائل السردية والعلنيّة، وتخطّط وتُنفّذ أكثر المخططات شرّاً، وترسم له وبه استراتيجيات مُخيفة وخطرة، ليقوى ويتسيَّد في المنطقة، وتحصيل الحاصل. والجهة الأخرى، التي يمثّلها الفلسطيني صاحب الأرض، تضعف وتستكين وتذوب في مشاكلها الخاصة واليومية، لتختفي قضيتها الشرعية أمام تغوّل هؤلاء. لكنّ حبل المكائد هذا كان قصيراً، وتلك المقالب السوداء لم تنطلِ عليه (الفلسطيني)، بل ازداد شراسة وقوةً وشجاعة بدفاعه عن الأرض.

مهما كتبنا من سيناريوهات دقيقة ومتماسكة، وأخرجنا أفلاماً باهرة، لا يُمكن نقل حقيقة هول جريمة الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة. يُمكن فقط محاكاتها نسبياً: نقل صورة مصغّرة عنها، ورسم أبعاد محدودة. لأنّ ما حدث في هذا العام، الكئيب والدموي، عجزت عن التنبؤ به أكثر العقول استشرافاً، ولم يُعكَسْ أدبياً وفنياً، لأنّ الجرائم المرتكبة أكثر اختلافاً وشرّاً وخبثاً، ولم يحدث مثلها في أعتى الحروب التي جرت في التاريخ. حتى مدن ألمانيا النازية لم يحدث لها، في الحرب العالمية الثانية، ما حدث لقطاع غزّة، رغم تحالف دول العالم عليها، برّاً وبحراً وجوّاً.

في دير البلح، السادس من أكتوبر 2024 (مجدي فتحي / فرانس برس)

لذا، إذا أمعنّا النظر جيداً من طائرة مُحلّقة فوق قطاع غزّة، نرى الخراب في أكمل صوره وأتمّها. سنحسّ ببعض مآسي الفلسطينيين والفلسطينيات وجراحهم. سنعيش ولو جزءاً يسيراً من الرعب الذي عاشوه، خاصة الأطفال وهم يسمعون أصوات قنابل تزن الواحدة منها ألفي رطل، ويرون الأشلاء متناثرة في كلّ الجهات، خاصة تلك التي لأقارب لهم في عائلاتهم.

في هذا الوقت، لا قبله، وربما ليس بعده، يُمكن لطائرة مُحلّقة، موصولة بكاميرا عادية أو محترفة، أن تجمع مواد فيلمية عالية القيمة، يُمكن بسهولة أن يُستخرَج، بفضلها الجميل من القبيح، والمُعبّر من الجامد، وأشياء حيّة من تلك المباني الميتة، التي تحيط بها حُفرٌ عملاقة خلّفتها قنابل الشرّ، ومن عمارات مُهدّمة وطرق وبلدات مختفية، تحوّلت إلى ركام كبير، عَكَس مدى حقد العدو على هؤلاء الذين رفضوا سياسة الأمر الواقع، وقالوا «لا» في وجهه، بصوت مرتفع وعينين حادّتين ووجه تكسوه روح المواجهة والخيلاء.